

يمارس ما دأب عليه الآباء والأجداد

فنان مسرحي يطلق مدفع رمضان في القدس تحت سمع إسرائيل وبصرها

خاص بـ "الحال"

رغم انتشار الأجهزة الإلكترونية والمنبهات بأشكالها المختلفة وصوت الأذان الذي يصدر من فوق المآذن وأجهزة المذياع والتلفاز المنتشرة في كل بيت ومتجر ومؤسسة، إلا أن المسلمين في مدينة القدس المحتلة اعتادوا منذ عشرات السنين، وبالأدق منذ العهد العثماني، الإفطار على صوت مدفع رمضان احتفالاً بتبوت رؤية هلال شهر رمضان أولاً، ثم للإعلان عن بدء صيام اليوم والانتهاؤه منه، حيث ينتظر الجميع سماع صوت المدفع للدخول في الصيام "الإمسك" أو الخروج منه "الإفطار"، فضلاً عن ضربه في العديد من المناسبات الدينية الإسلامية، وخاصة للإعلان والاحتفال ببدء عيدي الفطر والأضحى، حتى أضحي هذا التقليد إرثاً إسلامياً متوارثاً رغم تعاقب العديدين من الأنظمة على المدينة المقدسة.

يقع هذا المدفع في مقبرة باب الساهرة بشوارع صلاح الدين وسط مدينة القدس المحتلة، وعلى بعد عدة أمتار من سور القدس، صنع عام ١٩١٨ من قبل شركة "ستيل بيث ليهيم" الأميركية للفولاذ في ولاية بنسلفانيا، ويشرف على ضربه المقدسي رجائي يحيى صندوقة، الذي ورث هذه المهنة المحببة على قلبه والمتعبة أيضاً عن والده وأجداده الذين تعاملوا مع المدفع منذ عشرات السنين، ويعود استخدام مدفع القدس خلال شهر الصيام إلى الفترة العثمانية، بعد أن تم تنصيبه داخل



رجائي صندوقة ومدفع رمضان.

مقبرة "الساهرة" في القدس القديمة بجوار المسجد الأقصى، ومن حينها يتولى أبناء عائلة صندوقة -التي تنتمي لحي "وادي الجوز" المقدسي- مهمة إطلاق المدفع. عام ١٩٤٥ نصب البريطانيون مدفعاً جديداً مكان المدفع التركي الموجود حالياً في المتحف الإسلامي بالقدس، ولكن ما زالت العائلة تتوارث هذه المهمة، فالأب يحيى صندوقة والذي يعاني حالياً من مرض عضال أوكل هذه المهمة منذ سنوات لابنه رجائي منذ حوالي ثلاثين عاماً.

وقد حاولت سلطات الاحتلال القضاء على هذا الإرث التاريخي الذي تتميز به مدينة

استخدام البارود في أعمال تخريبية، وفي العامين الأخيرين استبدلت إسرائيل البارود بالقنابل الصوتية، ولكنها لم تستبدل الحارس الإسرائيلي الذي يقف خارج سور المقبرة وينتظر رجائي حتى يفرغ من إطلاق المدفع ويطلب منه التوقيع على دفتر خاص حتى تتأكد سلطات الاحتلال أن القنابل الصوتية تلك أطلقت ولم يتم تهريبها لأمر ما.

ويتحدث رجائي عن طقوسه مع المدفع فيقول: "دأبت على إطلاقه كل شهر رمضان منذ أكثر من ثلاثين عاماً وقبلها كان والدي وقبلها جدي"، وتابع أن المدفع "يطلق بحسب توقيت المسجد الأقصى"، وبعد أن يطلق صندوقة مدفع الإفطار يلتف كل المسلمين في القدس والأراضي الفلسطينية حول مائدة الإفطار، بينما يتناول هو وابنه نبيل (٢٤ عاماً) "حبة تمر وكأس ماء بجانب المدفع القديم عند المقبرة"، وقال صندوقة "أغار من الناس في بعض الأحيان لأنهم في بيوتهم وبين أفراد عائلتهم وأنا أحتاج إلى عشرين دقيقة لأصل إلى بيتي وأتناول طعام الإفطار بين أفراد عائلتي الذين يكونون في انتظار، ثم أغادر بيتي لأعلن الإمسك عن الطعام في ساعة السحور ولكني "بالرغم من ذلك أشعر بالمتعة والبهجة"، فهذا العمل مهم بالنسبة لي لأن كل الناس بانتظار سماع صوت المدفع حتى أن هناك بعض المؤذنين يرفعون الأذان فقط بعد سماع صوت المدفع"، ويؤكد إطلاق المدفع على هوية القدس التي تحاول إسرائيل بشتى

الطرق تغييرها. ويطلق صندوقة المدفع طلقة واحدة لإعلان الإفطار وطلقة واحدة للإمسك وثلاث طلقات لاستقبال رمضان وثلاث طلقات لاستقبال العيد وسبع طلقات يوم العيد بعد صلاة الظهر ابتهاجاً له. ويقول صندوقة إن مقبرة صلاح الدين التي وقع الاختيار عليها هي أعلى موقع مطل على البلدة القديمة"، ويضيف: "كان جدي يعرف بتوقيت الأذان، عندما يقوم شخص من باحة المسجد الأقصى بالتلويح بإشارة متعارف عليها إلى شخص يقف على سور القدس الذي يقوم بدوره بإعطاء إشارة لجدي لإطلاق المدفع"، وتابع "لمعرفة بدء شهر رمضان أكون مع المشايخ والمسؤولين في وزارة الأوقاف نراقب رؤية هلال رمضان في ساحة المسجد الأقصى، وقد ننتظر طول الليل وما إن تثبت رؤيته، حتى أذهب مباشرة إلى المدفع وأطلقه، ونفس الشيء أتبعه مع العيد".

يشار إلى أن رجائي صندوقة من مواليد عام ١٩٦٢ وهو فنان مسرحي ممثل ومحرك دمي، بدأ العمل في المسرح عام ١٩٧٨ وعمل في أكثر من ٥٠ عملاً مسرحياً وتلفزيونياً وخاصة برنامجه الشهير شارع سمس والذي يقدمه للأطفال الذين يعشقهم، ويشارك حالياً في عروض الحكواتي الخاصة بأسبوع الطفل الفلسطيني، وأحياناً يغادر قاعة التدريب في المسرح مسرعاً بسيارته حتى يلحق بالمدفع الرابض والذي ينتظره بصمت لا يخلو من خشوع.